

طبوعات شرفيّة

تاريخ الآداب المسيحيّة العربيّة

لمؤلفه جورج غراف

وصف وتحليل بقلم الاب فردينان تونل اليسوعي

G. GRAF. — *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*. ERSTER BAND, *Die Uebersetzungen*. (Studi e Testi, 118). ZWEITER BAND, *Die Schriftsteller bis zur Mitte des 15. Jahrhunderts*. (Studi e Testi, 133). DRITTER BAND, *Die schriftsteller von der Mitte des 15. bis zum Ende des 19. Jahrhunderts, Melchiten, Maroniten*. (Studi e Testi 146). VIERTER BAND, *Die Schriftsteller von der Mitte des 15. bis zum Ende des 19. Jahrhunderts, Syrer, Armenier, Kopten, Missionsliteratur, Profanliteratur*. (Studi e Testi 147). In - 4°, XLIV - 662. XXI - 512 ; XXXIII - 525 ; XXXVI - 332 pp. Citta del Vaticano, Bibl. apost. Vaticana, 1944, 1947, 1949, 1951.

الادبائت والنصوص

في دار الكتب الفاتيكانية حركة نشر وتأليف بدأت مع هذا القرن وتواصلت الى يومنا بعنوان « الابحاث والنصوص » Studi e Testi صادرة من مدينة الفاتيكان ومن المكتبة الرسولية الفاتيكانية فانتجت سلطة من الكتب بحجم ١٨ × ٢٥ ستمتراً ومنها هذا المؤلف : تاريخ الآداب المسيحية العربيّة بقلم الكاهن القاضل والعامل الكبير جورج غراف الدكتور بالفلسفة واللاهوت والاساذ شرقاً لمعهد اللاهوت في كلية مونيخ والعرض المراسل لجمعية الآثار القبطية في القاهرة .

وأهدى الكتاب الى المشرق منذ ظهور مجلده الاول فارجأنا وصفه الى ان وصل الينا مجلده الرابع وفيه ختام البحث اما المجلد الخامس الذي سيليه ولم يزل تحت الطبع فيخصص بالبحار .

تأه الكتاب وعرضه في فكر المؤلف

قال المؤلف في المقدمة ان اطلاعه على منشورات جامعة القديس يوسف في

بيروت وخاصة على مجموعة مجلة المشرق التي ظهرت منذ ١٨٩٨ بحث فيه الرغبة بدرس موضوع كتابه هذا فاخذ يجمع في سبيله المواد من اجابته الشخصية فيما كان يتعلم على فريتر هولم في جامعة مونيخ فاعترت من ثم جهوده برسالتين طبعهما سنة ١٩٠٥ وعنوان الاولى «الآداب المسيحية العربية الى عهد الصليبيين» (آخر القرن الحادي عشر) والثانية «لغة الآداب المسيحية العربية القديمة» فكانت الاولى اساساً للبتاية الفخنة التي ظهرت في هذا الكتاب الجليل .

لقد تكبد صاحبه مشقات الاسفار في التفتيش على المخطوطات وفي مراجعة المصادر فاقام زماناً في بلاد الشرق في اورشليم وبيروت وعلب وفي ديرة لبنان وخاصة في القاهرة وذلك في ١٩١٠ - ١٩١١ وبين ١٩٢٦ - ١٩٣٢ وفي ١٩٣٦ . وزار باريس وفلورنسا وروما مترددًا على مكاتبها فضلاً عن مكاتب المانية . وكان اذ ذاك في الخدمة الرعائية . ولما رُفِعَ حملها عن كفيه انصرف الى استغلال ما جمعه من التعليقات والمواد وخصص ايامه لهذا التأليف . وان هذا الكتاب موضوع اولاً لاهل الاختصاص من العلماء الشرقيين والمستشرقين ولكنه مفيد ايضاً لكل من يهتم الاطلاع على الدروس الكنائسية الشرقية وقد افتتحها المؤلف بتقدمة واسعة في بدء المجلد الاول من كتابه وددنا لو وفق الى تعريبها بكاملها احد ادبائنا المتضلعين من اللغة الالمانية على اننا نعرض لانهم محتوياتها قبل ان نأتي على تحليل كل من المجلدات الاربعة التي بين يدينا .

### مقدمة المقدمة : الادب المسيحي العربي

ان المكان الذي نشأت وتطورت فيه الآداب المسيحية العربية هو الجزيرة العربية ثم في البلاد الخارجة عنها اما زمانها فيستد من عهد اول ظهورها في القرون الحوالمى الى يومنا هذا .

وذهب المؤلف في تحديد معنى الادب المسيحي العربي باعتبار مصادره ومواده فقال : ( ١ ص ٢ - ٦ ) : في اعتبار المصادر يكون الادب المسيحي العربي مجموع ما وضعه العرب المعروف عنهم انهم مسيحيون سواء . بكونهم من اصل عربي ومن قبيلة عربية او بكونهم استعملوا اللغة العربية فمن ثم تدخل

في تاريخنا الكتب التي لا علاقة لها بالدين من شعر ونثر واساطير وقصص وتاريخ وعلوم طبيعية وغير ذلك .

اما في اعتبار المواد فيشمل الادب المسيحي العربي مجموع ما كتب باللغة العربية وكانت غايته في الغالب دينية وهي مع ذلك تعالج مواضيع غير دينية وقد يكون بعيداً عن الصواب ان نفرض عن تاريخ الآداب المسيحية العربية ما وضعه المسيحيون من المؤلفات التي لا علاقة لها بالدين طالما اعتبرها المسلمون ذاتهم كسيحية نسبة الى اصحابها ودونوها باسم المسيحيين كتب تاريخ الادب العربي المشبع بالمواد الصادرة من مصادر اسلامية واطاوية المواضيع الاسلامية وضمن المواضيع الواجب اعتبارها مادة لتاريخ الادب العربي المسيحي ما كان مبعثاً للبحث ومقبساً للنور في تطور الحركة الفكرية العربية ومنها نشأ علم الكلام والكتب الموضوعية في الجدل بين المسيحيين والمسلمين فكانت منهجاً سار فيه اللاهوتيون والفلاسفة العرب متأثرين بالتراث الفكري المسيحي ليفتحوا فتوحاتهم العقلية . وفي المجلدات الاربعة التي ظهرت سوف يجد القراء الاشارات الوفيرة الى المراجع العديدة جداً التي استند اليها المؤلف وجاءت شاهداً على حسن اختياره موضوعه وعلى طول باعه في العمل بقوة وصدق ونجاح .

### انتشار العربية بين المسيحيين

ومن امهات المسائل كيفية ابتناق المسيحيين من سريان ويونان واقباط وحبشة لغة الفاتحين العرب وكيفية حياة وتطور اللغة العربية بين المسيحيين في البلاد التي سادها الاسلام .

ومن اول مظاهر العربية عند النصارى اتخاذ اعلام الاسر والاشخاص من كلمات عربية اسوة بالعرب فقالوا مثلاً عيسى عوض يسوع واستعملوا التركيب والكنية واللقب اسوة بالعرب فقالوا عبدالله وابو القتح والجليل والمكين وابو ثرة وابو البركات .

ودخلت اللغة العربية في استعمال الصاوات والترتب الطبقية في الكنائس فنقلوا اليها المواد من اليونانية والسريانية والقبطية ، وفي الزمان القريب منا ، من اللغات الاوروبية . فحفظوا لنا تراثاً لا يستهان به من الروحيات الراجع

عندها الى ارائل المسيحية فذلاً عما ابتكروه بالعربية من متوجات عقولهم.

### العربية الفصحى

وظهرت في هذه المؤلفات اللغة العربية على علاتها كما كانت في استعمال العامة في زمانها ومكانها لكنها بلغت ايضاً مستوى اللغة الفصحى المراعية حقوق الصرف والنحو قليلاً من الصواب في القول ان لغة المسيحيين كانت دون لغة المسالين فصاحة لانهم كتبوا كما كان يكتب سائر العرب في ايامهم وترى بان في قوله هذا رد العلامة غراف على المثل السائر عند الذين ينكرون على المسيحيين المقدرة في ضبط قواعد العربية فيقولون متهمين : « النصراني اذا نعى » .

### افرم الامار المسيحية العربية

مضى صاحب الكتاب وايضاً خطط تاريخ وجغرافية البلاد التي ظهرت فيها الآداب المسيحية العربية قبل الاسلام اخذاً في بدء تاريخ المسيحية في بلاد العرب من العهد الروماني فقال ( ١ - ص ١٢ وما بعدها ) : ان العدد الوافر من البنايات الكنائسية في المدن والارياف وغير ذلك من الكتابات الاثرية المؤرخة او الغير المؤرخة شاهد يعرفنا ببراكر الاساقفة وغيرهم من الاكايروس على مختلف درجاته وكانت الارثوذكسية مذهب الدولة وكانت مذاهب غيرها تسعى في ان يكون لها مقام في البلاد ...

### اهل الحضرة

وكان السكان معظمهم من اصل روماني او يوناني او سرياني وكان التفوق بينهم لليونان في الحياة الاجتماعية والفكرية . وعاش العرب في الارياف واخذوا يتحضرون . ورجال الدين كانوا ينشرون الثقافة اليونانية على قدر ترقيمهم في درجات الاكايروس قتيوس ( نحو سنة ٣٦٣ ) وانثيباتر ( نحو ٤٦٠ ) واسطفانوس ( في بدء القرن الثامن ) اساقفة بصرى كتبوا باليونانية . ودخل اقليم « عربية » في حكم الاسلام بعد انتصار الفاتحين في موقعة اليرموق ( ٢٦ آب ٦٣٦ ) وعمرت بعض الكنائس ولم يحل دون عمارتها دخول البطريكية في حكم الشريعة التي قالت بنوع اهل الذمة عن عماد الكنائس .

## اهل الورد

وبالقرب من العرب المتحضرين كان البدو وعليهم امرؤهم من حيرة وغان وهم « الفلاركة » وقد دخلت بينهم الثقافة المسيحية مع اتصالهم بلاك بيزنطية والحبة وبفضل الرهبان المبشرين من رحالة او من شخصيات بارزة كسلمان العمودي .  
 وضرب الاستاذ غراف لائحة القبائل العربية المتحضرة بجملها او بفرقة منها واهما (١ ص ٢٥-٢٧) (١) قراعة وفروعها سليم وكتب وتنوخ (٢) جذام (٣) تغلب (٤) بكر (٥) اباد (٦) تميم (٧) الحارث بن كعب (٨) كندة وحدد مواطن اقامتها في البلاد واخذ من ثم يفتش عن اوليات الآثار الادبية المسيحية العربية .  
 ليس بين ايدينا اثر للكتابة للقبائل العربية المسيحية الرحالة الا ما حفظ في الديورة وفي حلقة الاكليروس المتقف اما المحررات التي بلغت الينا من المنتوجات الفكرية الصادرة من المتحضرين فلم تكن باللغة العربية ولكن باليونانية وكانت الحركة الفكرية نشطة في الديورة الواقعة في بلاد الحيرة وغان ومنها صدرت مخطوطات وآثار كلها باللغة الآرامية الى ان حلت فيها اللغة العربية محلها مع انتشار الكتابة العربية على يد المسيحيين كما يشهد على ذلك المؤرخون المسلمون .

## شعراء النصرانية

وهناك مشكلة الشعر الجاهلي وشعراء النصرانية قبل الاسلام . فلم يوافق الامة غراف الاب شيخو في سائر اقواله اثباتاً لنصرانية الشعراء . لان قصائدهم بقلها وقالبها لا تكاد تتعدى عن قصائد غيرهم من الشعراء غير المسيحيين ولا يكفي ما يرى فيها من الاشارات الى الطقوس المسيحية او ما يأتي فيها من الاصطلاحات القوية المسيحية لاثبات ان اصحابها كانوا من النصارى .  
 اما الشعراء المسيحيون اي هؤلاء الذين لا سبيل الى الشك في حقيقة ديانتهم استناداً لشواهد غيرهم عنهم او اخذاً بصيغة اسمهم وقد عاشوا قبل الاسلام وفي قرنه الاول فهم : عدي بن زيد وكان من اسرة نبيلة نشأ في بلاط ملوك الحيرة ثم مات نحو ٦٠٤ وله شعر في الحمريات والزهديات ؟ ويمحي ابن متى معاصر محمد لم يترك شعراً من تأليفه لكنه روى شعر الاعشى الاكبر

(بعد سنة ٦٢٩ م) وهذا كان من «عباد الحيرة» ؛ وعبد المسيح بن بقلبة الذي عاش في الحيرة في القرن السابع والاضطل التغلبي شاعر الامويين المتوفى سنة ٧١٥

### تعرية الكتب المقدسة

ومضى المؤلف من ثم باحثاً في ترجمة الكتاب المقدس والصلوات الطقسية الى اللغة العربية وعالج المشكل بكثير من الاطلاع والنقد فاذا ذكر ورقة بن نوفل وما قاله عنه المؤلفون المسلمون انه قرأ التوراة بالعبرانية فتر لفظة عبرانية بمعنى انه قرأ التوراة بحرف عبراني او كرشوني وبلغظ واهة عربية . واذا روى خبر عمر بن سعد بن ابي وقاص وطلبه الى البطريرك يوحنا اليعقوبي في ان يترجم التوراة من السريانية الى العربية استند اليه ليقين انه كانت في ذلك الحصر آثار عربية للكتاب المقدس لكنه لم يبت في امرها واكتفى بان وجه اليها نظر الباحثين مهتلاً لهم طريق البحث بذكر مراجع علمية وافرة وكذلك فيما يخص كتب الصلوات الطقسية فروى نظرية باومسترك في قوله ان كتاباً دينية مسيحية سبقت ظهور القرآن لكن امرها لا يتضح اتصاحاً يجزم في تعريف كمية المواد العربية .

ولا بد من القول بالرأي القائل بانه لما ظهر القرآن كانت بين ايدي الناس قطع عربية من الكتاب المقدس ومن كتب الصلوات والطقوس وذلك بين في بعض الالفاظ الواردة في القرآن وفي بعض النصوص التي يرويها البخاري والطبري وغيرهما .

اضف الى ذلك ما يأتي به من الشواهد المؤلفون المسيحيون كابي قرة الملحمي وابي رانطة اليعقوبي والكندي التطوري فاذا قابلت بين مؤلفاتهم رأيت انهم يختلفون في رواياتهم آيات الكتاب المقدس فينتج من ثم انه لم يكن هناك ترجمة عربية للكتب المقدسة مقبولة من الجميع قبل القرن الحادي عشر المسيحي .

### فهرسة التاريخ وقسم الكتاب

وفي البند الخامس من المقدمة جاء المؤلف بمجلاحة تاريخ الشرق السياسي منذ الهجرة الى آخر عهد المماليك ثم اخذ يعرض لتاريخ الادب عند الطوائف

المسيحية متكئين وموارنة والنسطوريين واليعاقبة والاقباط وختم مشيراً الى اقسام كتابه فتناول اولاً ما نقل الى العربية عن غيرها من اللغات ثم المؤلفات المبكرة للكتابة منذ القرون الاولى الى منتصف القرن الخامس عشر . ثم في القرن السادس والسابع عشر ظهر عصر النهضة في الآداب المسيحية العربية وكان فجره في العلاقات التي جرت بين مسيحي الشرق والغرب في مجمع فلورنسا وفي اعمال المسلمين واجتهاد الشيعة الشرقية التي رحلت من بلادنا الى رومة لتدرس فيها .  
واليك نظرات سريعة في محتويات المجلدات الاربعة عسى ان يتشوق منها القراء الى مراجعة الكتاب واستيعاب مواده بتمامها .

### المجلد الاول

يؤدي البحث في ترجمة الكتاب المقدس بكامله من القرن التاسع من عهد حنين بن اسحاق الى النسخة الملكية فالقبطية الى نسخة باريس ولندن فترجمة البروباغنده وترجمة ووفائيل الترخي القبطي فالمطبعة البروتستنتية فالدومينيكانية فاليسوعية ثم يتكلم على كل سفر من اسفار العهد القديم والجديد وعلى كتب القراءات ثم على الكتب الروحية « المنجولة » المعروفة « بالايوكريف » عن اخبار المسيح والقديسين ثم على كتب الآباء اليونان والسريان والقبط وعلى كتب الطقوس والليتورجيات وعلى كل فصل من هذه الفصول قدم المؤلف بالنظرات العامة قبل ان يأتي على ذكر المؤلفات من مطبوعة او غير مطبوعة .

### المجلد الثاني

فيه تاريخ المؤلفات المبكرة التي وضعها الكتبة المسيحيون الى منتصف القرن الخامس عشر وقد صنفهم العلامة غراف بحسب طوائفهم فالملكيون ومنهم تيودورس ابو قرة وقسطا بن لوقا ويوحنا بن البطريق واغاييرس محبوب بن قسطنطين و ابراهيم بن يوحنا الانطاكي واير الفتح عبدالله بن الفضل وغيرهم ؛ والموارنة ومنهم قيس وتوما كفرتاب وتيودوروس العاقوري ويوحنا الناسك واغناطيوس اسقف قبرس ويوحنا مارون ؛ والنساطرة ومنهم اسرة مجنثشوع وحنين والحجاج وعيسى بن حكيم مسيح واير زكريا يوحنا بن بطريق واير نوح الانباري واليا

الجوهري وعبد المسيح الكندي وابو الفرج عبدالله بن الطيب العراقي والمختار  
 يوانس بن بطلان وغيرهم ؛ واليعاقبة حبيب بن خدمة ابو رائطة وابو سهل  
 عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني وابو نصر يحيى بن جرير وغيره ويوس ابو الفرج  
 ابن العبري ؛ والاقباط ساويروس بن المقفع ومرقوس بن القنبر وميخائيل  
 الضياطي والرشيد ابو الخير بن الطيب والملكين جرجس بن الصبيد وكيرلس  
 ابن لقلق ويوحنا اسقف سمهود واولاد المال وغيرهم من الشرقات الذين لا  
 يسع المقام ذكرهم .

### المجلد الثالث

وفيه ذكر الكتبة من منتصف القرن الخامس عشر الى منتهى القرن  
 التاسع عشر وهو مكتظ بالاعلام القريية عهداً منها ونشأناً بتلاوتها على  
 مختلف الطوائف في سائر نواحي التأليف بين التعريب والابتكار فمن الملكيين  
 ملاتيوس كرمه الحموي ومكاربيوس بن الزعيم ويولس الحلبي واثناسيوس دباس  
 والياس فخر وعبدالله زاخر وتولا الصايغ وجرمانوس آدم وغيره ويوس عطا وغيرهم  
 وغيرهم .

ومن الموارنة جبرائيل ابن القلاعي وجرجس الاهدني وسركيس السمراني  
 وموسى العنايبي ويوحنا الحوشي واسطفانوس الدويهي ويوسف بن جرجس الباني  
 وبطرس التولاري وعبدالله قرألي وجرمانوس فرحات والساعنة وغيرهم من تلة  
 القارى مطالمة اسمهم مع ترجماتهم وتعداد مؤلفاتهم وفيها ما يذكر بآية الانجيل  
 عن الجدد والعتق .

### المجلد الرابع

وفيه ذكر السريان : اغناطيوس نوح وعيسى الهزار واندراوس اخيجان  
 واثناسيوس سفر وميخائيل برده ، ثم الارمن : مكرديج الكسيح وانطون  
 خانجني ويولس بليط ، ومن النساطرة يوسف الثاني البطريرك وخضر الموصلبي ، ومن  
 الاقباط سلسلة من رجالات العلم والفضل حسبنا الاشارة اليهم بالاجمال وكذلك

الى امثالهم من المرسلين الفرنسيين واليسوعيين والكرمليين واللعازريين وغيرهم من رجال الارشالات البروتستنتية ومن الكتبة والمؤرخين والشعراء واللفظيين وحملة الاقلام في عالم الصحافة .

### فككت العربية نصرانه قبل اسلامها

وقد يأخذ منك الاعجاب مما تراه في هذه المجلدات الجليلة الضخمة من التعليمات والابحاث الدالة على جهاد متواصل على مدى حياة قضيت في التفتيش والتجسس والتدوين وكل صفحة من صفحاتها تكاد لا تخلو من الحواشي الدالة على المراجع والشاهدة على صدق الرواية اذف الى ذلك الاصابة في الحكم والتوازن في التعبير مما يرتاح اليه القارىء .

فهذا الكتاب مجر جدير بان يفرض في اعماقه المشتغلون في هذه الناحية من الآداب العربية فيحصلون منه على لآلى غاية الثمن ويستنبطون من غناه كنوزاً تؤدى مادة لسل المجتهدين على مدى الاعوام . هو تراث اجدادنا المسيحيين نفاخر به وزد به قول من قال « ابت العربية ان تنصر » فانها كانت مسيحية قبل اسلامها ولم تزل .

ولا يسعنا في الختام الا ان نذكر مع كتاب تاريخ الآداب المسيحية العربية لمراف كتاب تاريخ الآداب العربية لبروكلمان فمن كليهما تكون مجموعة اساسية تشيد باجماد الثقافة العربية وتستحق لمؤلفها الشكر ما دامت اعلام الثقافة خافقة على الناظرين بالضاد .

